...و فصلٌ آخر

من فصولِ الحياة...

بقلم الأخت أدما حبيبي

تبدأ سنو حياتنا بفصل الشتاء، فصل الهدوء الخشوعي. ويتبعه فصل الربيع ، فصل الانتعاش والعطاء والتجديد المتفائل. وبعده يأتي فصل الصيف، فصل التمتع والاستمتاع بالراحة والاسترخاء. وأخيراً ندخل فصل الخريف، فصل الأوراق المتساقطة، والطبيعة المتغيّرة، فصل التأمل والتذكُّر والتفكير. ونحن نسير من فصل إلى فصل وننتقل من مرحلة إلى أخرى، حريٌّ بنا ألا نخافَ من رياح الشدّة أو من رياح المِحَنِ العاتية. فالشجر العالي الذي يترنَّح يمنةً ويسرةً على شواطئ البحر ينقل إلينا ألفَ قصة وقصة عن متانته وصلابته. وحبَّذا لو أنَّنا نتذكر دائما أنَّ الجذور تمتد في أعماق الأرض وتتشعَّب فيها وتتوطَّد عندما تعبث الريحُ بقوةٍ في ساقها وفروعها فوق السطح.

وكلُّ فصل من فصول الحياة يحمل إلينا نفحةً جديدة لكل من يريد أن يأخذ وقتاً لكي ينظُرَ حوله ويفكر. وهناك وراء كل ما هو ظاهر ومعلنٌ ، تكمنُ حقائقُ منوعة مخفيّة لكنها تعمل فينا وفي دواخلنا بصمت وهدوء، لتصلَ إلى كل منحىً من حياتنا . وكما أن كل فصل بأشهره الثلاثة يحمل إلينا نوعاً ما من الأسرار والعجائب، ويلعب ألحاناً تخصُّه ، مقدّماً بالتالي مناظر و مشاعر وأحلاما مميّزة ، هكذا أيضاً فصولُ حياتي وحياتِك يا صديقي . فالسيد له المجد ليس بصامتٍ أو بغيرِ مكترثٍ حين يغيّر الأوقاتَ والفصولَ في حياتنا. ونخطئُ حين ننتقلُ من فصلٍ إلى آخر بشكلٍ اعتيادي و روتيني غيرَ حاسبين حساباً للتغييرات التي تجري ودون أن نكتشفَ الأجوبةَ لأسرارِ الحياة أو دونَ أن نتعلَّم كيف نُنشدُ لحناً جديداً. إنَّ فصولَ الحياة قد رُسِمَتْ لكي نتعمَّق ونتدرّج ونتعلّم وننمو في الحكمة وفي معرفة طرق الله. ليس هذا فحسب، **بل نتعلم وننمو تماماً كالشجرةِ المغروسةِ عندَ مجاري المياه.** (مزمور ١)

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

والآن يا عزيزي، هل أُخذتَ بمنظرِ الأوراقِ المتساقطة في هذا الفصلِ بالذات؟ هل تعجَّبت من الألوانِ الداكنة التي تملأُ الأرض من حولِك؟ بين أصفر وبرتقالي وأحمر وبنّي؟ وكأنَّ رسّامًا مرَّر عليها فرشاتَه ولوَّنها بهذه الألوان البديعة ! ماذا عن نفحاتِ الريح التي تعبثُ في وجهك ؟ الهواء الذي يحمل شيئاً من البرودة ؟ ما أنعشَهُ ! ما أحلى هذا التغيير المنشِّط. فصلُ الخريف المزدانُ بألوانِه الجميلة، و المميَّزُ بالعودة إلى روتين العمل والدراسة، كلُّ هذا فيه يجعلُنا نقف لنفكّر . فهو فصلُ التفكير والتأمل وإعادةِ النظر . هذه فرصةٌ لنا لكي نجولَ في رحاب فكرِنا الفسيحة وطرقها الخلفيّة المخفيّة، فنسأل **لماذا وكيف ومتى وأين؟** هذه الزيارات التي نقوم بها في متحفِ ذاكرتِنا من غير المعقول ألاّ تساعدَنا على تقييمِ طرقِنا، ورسمِ خطة جديدة نريدُها لمستقبلنا. هذا يا صديقي، يتضمَّن التغيير، وهو سببٌ آخر يجعل من الخريف فصلَ التأمل. ففي هذا الفصل تتغيَّر أوراقُ الشجر ، ويتغيَّرُ الطقس وكذا الوقت. العصافيرُ تهاجرُ نحو الجنوب والسنجابيات تنتهي من جمع طعامها للشتاء، وسمَكُ السلَمون يسبَحُ راجعاً إلى المكان الذي جاء منه. وكذا الحيواناتُ الضخمة تقوم بتنشيط أجسادها آخرَ مرةٍ قبل أن تنطويَ على نفسها استعداداً لفصل الشتاء وبرده القارس. وعلى هذا الأساس العجيب تقوم كلُّ هذه الخلائق وبطريقة طبيعيةٍ بهذه الأعمال كلاًّ منها على حِدة ، ودون أن يرشدَها أحد أو يُملي عليها أيُّ قائدٍ تعليماته أو خطته.

وعلى نفس المنوال، وبكل هدوء ودون إعلان بالبوق، يتعاملُ اللهُ معنا بحنانٍ ورقَّةٍ فيحركُ حياتنا بروحه، ناقلاً إيَّانا من فصل الصيف حيثُ الراحة إلى فصل الخريف حيث التأمل والتغيير ، حين يكتبُ خطته على ألواحِ قلوبِنا . وينتظر بصبرٍ وطول أناة لكي يَحدُثَ التغييرُ فينا . وعندما يحصل التغيير، نعود لنتذكَّر عمله فينا فنتأمل ملياً به وبصُنْعه معنا. والسؤال الآن هل وصلَ الخريفُ إلى حياتك يا صديقي؟ فكّر قبلَ أن تجيب. اغمض عينيك لدقيقةٍ وتأمَّل بما عمله الله ويعمله في أعماق قلبك؟

دعني أذكّركَ بهذه الآيات من العهد الجديد في الكتاب المقدس والتي تقول: **واثقاً بهذا عينه أنَّ الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمّلُ إلى يومِ يسوعَ المسيح. (فيلبي ١: ٦)** هذا الوعد كامنٌ في أساس خطةِ الله لحياتك. لهذا يمكنك أن تفكّر في هذا **الوعد كضمان لك.** فالذي ابتدأ العملَ الصالح فيك لا يتركُ هذه المهمة دون أن ينهيَها أو يكمّلها. فالله لا يترك عملاً دون أن يكمّله أو ينهيَهُ بالتأكيد. هو لا يفشل . **تذكّر أنَّ هناك أربعةَ فصولٍ في السنة** . خريفُ حياتك يا صديقي يمكن أن يحملَ إليك مصاعبَ جمَّة فيصبِحُ غيرَ مريح. فلربَّما أنت عاطلٌ عن العمل، أو أن حياتك العاطفية تتعرّض للتمزُّق والاندثار. أو ربما تجتازُ بمحنةِ فقدان شخصٍ عزيزٍ عليك ، أو أنَّك تشعر بالوحدة أو الجوع أو البرد ، أو ربما أنت خائفُ وقلقُ بسبب سحابةٍ سوداوية تغطي سماء حياتك فتجعلك مرتاعاً، أو أن رياح المحن والشدائد مازالت تعصف بحياتك. إذا كنت على هذه الحال، تذكر أن جذورَ الأشجار

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

تتعمّق في الأرض أكثر حين تتعرَّض الساقُ والفروع لرياحٍ عاتية. فإذا أتاكَ الخريفُ فصلُ التأمل والتفكير وإعادة النظر ، توقّع أنَّ جذورك سوف تتعمَّق في الأرض أكثر . **لا بل تأكَّد أن الله "مختص" بالجذور**. هو يخطِّط لكي تتقوى هذه الجذور وتصمد. هو لا يفرض نفسه علينا، **لكنَّه بكل حنان وعطف ورأفة يسيطر على الأوضاع وهو العامل دائما**. نحن كبشر نتطلَّع دائماً إلى الثمار. لكنَّ الله ليس كذلك. هو يراقب الجذور . نحن نحب النتائج ، أما هو فيؤكد على كيفية سيرِ العمل على الرغم من كونِه مؤلماً بالنسبة لنا أحياناً. وهو الذي بدأ يكمِّل إلى يوم يسوع المسيح. وعلى هذا الأساس يمكننا أن نصرِّح ونقول: **تعالي أيتها الرياح العاتية ، وأهلاً بكَ يا خريفُ.**

تُرجِمَتْ بتصرُّف عن كتاب

"Growing stronger in the seasons of Life"

By: Charles Swindoll

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service